

قال رحمه الله تعالى :

[فصل (في ذكر الأماكن التي حلَّها صلوات الله وسلامه عليه وهي الرحلات النبوية)
؛ قديم الشام مرتين: الأولى : مع عمه أبي طالب في تجارة له ، وكان عمره إذ ذاك ثنتي
عشرة سنة ، وكان من قصة بحيرا وتبشير به ما كان من الآيات التي رأوها ما بهر العقول
، وذلك مبسوط في الحديث الذي رواه الترمذي مما تفرد به قراد أبو نوح واسمه عبد
الرحمن بن غزوان ، وهو إسناد صحيح ولكن في متنه غرابة قد بُسط الكلام عليه في
موضع آخر ، وفيه ذكر العمامة ولم أرَ لها ذكراً في حديثٍ ثابتٍ أعلمه سواه .

الْقَدَمَةُ الثانية : في تجارة لخديجة بنت خويلد وصحبته مولاهم ميسرة ، فبلغ أرض بصرى
، فباع ثم التجارة ورجع ، فأخبر ميسرة مولاته بما رأى عليه ﷺ من لوائح النبوة فرغبت
فيه وتزوجته ، وكان عمره حين تزوجها . على ما ذكره أهل السير . خمساً وعشرين سنة] .

هذا فصل عقده الإمام بن كثير رحمه الله تعالى ((في ذكر الأماكن التي حلَّ بها صلوات الله
وسلامه عليه وهي الرحلة النبوية)) ؛ أي الأماكن التي ورد في السنة أنه ﷺ رحل إليها ،
وهذا من تمام معرفة السيرة والأخبار النبوية؛ معرفة إلى أين رحل ، وما هي الأماكن التي
قصدتها وذهب إليها ، ويدخل في ذلك في أول النشأة وبداية حياته صلوات الله وسلامه
عليه ، ويدخل في ذلك رحلاته الأخرى ممَّا سيذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى . وكثير ممَّا
سيأتي عنده سبق أن مرَّ معنا في ثنايا ذكر سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، لكنه لما عقد
رحمه الله تعالى هذا الفصل لبيان رحلات النبي عليه الصلاة والسلام اقتضى المقام إعادة ما
سبق ذكره على وجه الإشارة .

والمصنف رحمه الله تعالى ذكر في هذا الفصل رحلات النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ،
فبدأ أول ما بدأ برحلتين سبق أن مرَّتا معنا في ما قبل البعثة وهي : رحلته الأولى إلى الشام
وكان عمره ﷺ ثنتي عشرة سنة ، وكان في رفقة عمه أبي طالب وهذا من عناية عمِّه به
وحفاوته به وحرصه على رعايته والمحافظة عليه . والمرة الثانية : وعمره خمس وعشرين سنة في
تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها . وهاتان الرحلتان مرَّ الحديث عنهما ومرَّ أيضاً ذكر
ما روي في الحديث من ذلك وأيضاً الكلام عن المروي في ذلك ؛ فأغنى عن إعادته هنا .

قال رحمه الله تعالى :

[وتقدم أنه ﷺ أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فاجتمع بالأنبياء وصلى بهم فيه، ثم ركب إلى السماء ثم إلى ما بعدها من السموات سماءً سماءً ، ورأى الأنبياء هناك على مراتبهم ، ويسلم عليهم ويسلمون عليه ، ثم صعد إلى سدرة المنتهى فرأى هناك جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، ودنى الجبار رب العزة فتدلى كما يشاء على ما ورد في الحديث الشريف ، فرأى من آيات ربه الكبرى كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨] ، وكلمه ربه ﷻ على أشهر قولي أهل الحديث ، ورأى ربه ﷻ ببصره على قول بعضهم ، وهو اختيار الإمام أبي بكر بن خزيمة من أهل الحديث ، وتبعه في ذلك جماعة من المتأخرين . وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بفؤاده مرتين . وأنكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رؤية البصر . وروى مسلم عن أبي ذر قلت : يا رسول الله رأيت ربك ؟ فقال : " نورٌ أنى أراه ؟ " وإلى هذا مال جماعة من الأئمة قديماً وحديثاً اعتماداً على هذا الحديث ، واتباعاً لقول عائشة رضي الله عنها . قالوا : هذا مشهور عنها ، ولم يعرف لها مخالف من الصحابة إلا ما روي عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده ، ونحن نقول به ، وما روي في ذلك من إثبات الرؤيا بالبصر فلا يصح شيء من ذلك لا مرفوعاً بل ولا موقوفاً ، والله أعلم] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هنا ما يتعلق بالإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماء ، وسبق للمؤلف رحمه الله تعالى أن عقد فصلاً بذلك وذكر فيه قصة الإسراء والمعراج وأورد هناك خلاصة مفيدة نافعة تتعلق بقصة الإسراء والمعراج، ولمناسبة هذا المقام أعاد الأمر هنا رحمه الله تعالى مع زيادة في بعض التفاصيل والإيضاحات التي لم يسبق له بيانها رحمه الله تعالى في الموضع الأول .

قال : ((وقد تقدم أنه ﷺ أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فاجتمع بالأنبياء وصلى بهم فيه - أي في المسجد الأقصى - ثم ركب إلى السماء ثم إلى

ما بعدها من السموات سماءً سماءً ، ورأى الأنبياء هناك على مراتبهم ، ويسلم عليهم ، ويسلمون عليه)) .

قال : ((ثم صعد إلى سدرة المنتهى فرأى هناك جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح)) ؛ وهذا إليه الإشارة في قول الله سبحانه في سورة النجم : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) ﴾ فهذه الرؤية الثانية لجبريل ، والرؤية الأولى كانت في الأرض . لأنه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح مرتين : مرة في هذا الموضع ، ومرة رآه في الأرض ، وإلى هذا الإشارة في سورة النجم في قوله عليه السلام : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) ﴾ والصحيح أن الذي دنى وتدلّى المذكور في هذه الآية هو جبريل عليه السلام ، فرآه عليه السلام هناك في العلو لما عُرج به إلى السماء على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح . فقلوه ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ هذه رؤية النبي عليه السلام لجبريل في الأرض . والرؤية الثانية له في السماء عندما عُرج به إلى السماء في قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) ﴾ .

قال : ((ودنى الجبار رب العزة فتدلّى كما يشاء على ما ورد في الحديث)) ؛ مراده بالحديث أي الذي في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك وهو حديث طويل وفيه : ((حَتَّىٰ جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ ، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّىٰ حَتَّىٰ كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ فِيْمَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ : خَمْسِينَ صَلَاةً)) .

ولننتبه لقول ابن كثير رحمه الله هنا ((على ما ورد في الحديث)) ، لأن الدنو والتدلي الذي في الآية غير الدنو والتدلي الثابت في حديث أنس ؛ فالذي ورد في حديث أنس صريح في أن المراد هو دنو الجبار عليه السلام على ما يليق بجلاله وعظمته ، والقول فيه كالقول في النزول والجيء والإتيان وسائر صفات ربنا الفعلية التي الواجب فيها أن تُمر كما جاءت وأن يُؤمن بها كما وردت كما هي قاعدة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى وطريقتهم في أسماء الله عليه السلام

وصفاته . أما الذي في الآية الكريمة في سورة النجم : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) ﴿ الضمائر كلها عائدة إلى جبريل عليه السلام .

وقد بين المصنف نفسه رحمه الله في تفسيره أن من حمل الآية على دنو الرب نفسه فإن هذا وهم ، وبين رحمه الله تعالى أن قول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته ﷺ جبريل هو أصح ما جاء في هذا الباب ، قال : " ولا يُعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا " يعني تفسير قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ بأن الدنو هنا هو دنو جبريل عليه السلام .

قال : ((فرأى آيات ربه الكبرى كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨))) ؛ ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام في ذلك المقام عندما عُرج به إلى السماء رأى آيات عظام وأمور باهرة مكّنه الله ﷻ من رؤيتها ومشاهدتها .

قال : ((وكلمه ربه ﷻ على أشهر قولي أهل الحديث)) ؛ وهذا هو الصحيح ، أنه عندما عُرج به إلى السماء سمع كلام الله ﷻ من الله بدون واسطة ، ولهذا ثبت له ﷺ ما ثبت لموسى الكليم ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] ، في الآية أن موسى عليه السلام عندما ناداه الله ﷻ عند طور سيناء سمع صوت كلام الله من الله ﷻ بدون واسطة ، فثبت لبنينا عليه الصلاة والسلام ما ثبت لموسى عليه السلام ، وأيضاً ثبت له ما ثبت لإبراهيم وهو الخلة ، اتخذ الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلمه الله تكليماً كما كلم موسى تكليماً . وسيدكر ابن كثير رحمه الله قريباً جملة من الشواهد والأدلة على أنه عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله من الله ﷻ .

قال : ((ورأى ربه ببصره على قول بعضهم)) ؛ رأى ربه ببصره : أي عندما عُرج به إلى السماء ، لكن هذا قول ضعيف لا دليل عليه ، بل الأدلة الصريحة واضحة بعدم صحة ذلك وعدم ثبوته ، وسيأتي أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام سؤالاً صريحاً في هذا الباب قال : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» أي حال بيني وبين رؤيته النور . وجاء في

بعض الروايات قال : «رَأَيْتُ نُورًا» فهذا صريح في الباب ونص قاطع في الباب أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ رَبَّهُ بعينه عندما عُرج به إلى السماء .

قال : ((ورأى رَبَّهُ ﷻ ببصره على قول بعضهم وهو اختيار الإمام أبي بكر ابن خزيمة من أهل الحديث ، وتبعه في ذلك جماعة من المتأخرين)) ؛ الإمام ابن خزيمة رحمه الله له كتاب عظيم في التوحيد مطبوع متداول ونافع وقِيم أطال فيه رحمه الله تعالى في الانتصار لهذه المسألة وهي ما يراه رحمه الله تعالى أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى رَبَّهُ بعينه ، لكن ليس هناك حجج واضحة وأدلة بيّنة على ذلك ، والأدلة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام صريحة بخلاف ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم يره بعينه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام عموماً: ((اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)) . فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ رَبَّهُ ﷻ بعينه وإنما ثبت - كما سيأتي - رؤيته لربه بفؤاده .

قال : ((وروى مسلم عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين)) ؛ وهنا ينبغي أن يلاحظ أن ابن عباس رضي الله عنه جاء في هذه المسألة روايتان :

الأولى : مطلقة ؛ قال : " رأى رَبَّهُ " هكذا بالإطلاق .

والرواية الثانية : مقيدة بالفؤاد ؛ قال : " رآه بفؤاده " .

ولهذا قرر جماعة من المحققين من أهل العلم أن الصحيح في هذا المقام أن يُحمل المطلق من كلامه وهو قوله : " رآه " على المقيد وهو قوله " رآه بفؤاده " ، فيكون كلام الصحابة عائشة وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم في هذا الباب واحد - متفق غير مختلف - وهو : أنه لم تثبت رؤية النبي ﷺ لربه بالبصرة أي بالعين ، وإنما رآه بالفؤاد أي بقلبه، والمراد هنا : الرؤية المنامية ، وعليها يُحمل الحديث الذي جاء : ((رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ)) . قال الإمام ابن كثير رحمه الله : " وهذه رؤية في المنام ، ومن زعم أنها في اليقظة فقد أبطل " .

قال : ((وأنكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رؤية البصر)) ؛ أي ببصره عليه الصلاة والسلام ، وثبت إنكارها لذلك رضي الله عنها وأرضاها .

قال : ((وروى مسلم عن أبي ذر : قلت يا رسول الله رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه ؟)) وهذا صريح في أنه لم يرَ عليه الصلاة والسلام رَبَّهُ . قال : ((نور أنى أراه ؟)) أي حال بيني وبين رؤيته النور كما يوضح ذلك الرواية الأخرى قال : ((رأيت نوراً)) .

قال : ((وإلى هذا مال جماعة من الأئمة قديماً وحديثاً اعتماداً على هذا الحديث واتباعاً لقول عائشة))؛ وهذا هو الصحيح في هذه المسألة إن شاء الله .

((قالوا : هذا مشهور عنها ولم يُعرف لها مخالف من الصحابة إلا ما روي عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده)) وابن عباس كما أشرت نُقل عنه في هذا روايتان ، الأولى مطلقة والثانية مقيدة بالفؤاد فتحمل المطلقة على المقيدة.

ولهذا يقول ابن كثير : ((ونحن نقول به)) ؛ يعني نقول إنه عليه الصلاة والسلام رأى ربّه بفؤاده .

((وما روي في ذلك من إثبات الرؤية بالبصر فلا يصح شيء من ذلك لا مرفوعاً بل ولا موقوفاً ، والله تعالى أعلم)) . والمؤلف رحمه الله تعالى سبق له أن ذكر خلاصة لهذه المسألة في كتابه هذا .

قال رحمه الله تعالى :

[ورأى الجنة والنار والآيات العظام ، وقد فرض الله سبحانه عليه الصلاة ليلتذ خمسين ثم خففها إلى خمس ، وتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه جل وعز في ذلك ، ثم أهبط إلى الأرض إلى مكة إلى المسجد الحرام ، فأصبح يخبر الناس بما رأى من الآيات] .

قال رحمه الله تعالى : ((ورأى - يعني ليلة أُسري به عليه الصلاة والسلام - الجنة والنار والآيات العظام)) ومّر معنا قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ .

((وقد فرض الله سبحانه عليه الصلاة ليلتذ خمسين صلاة ثم خففها إلى خمس)) ؛ أي خمس صلوات في اليوم و الليلة ، فهي خمس بالفعل ، وخمسون بالوزن والأجر .

قال : ((وتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه جل وعز في ذلك)) ؛ يعني كلما رجع إلى موسى قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فيرجع فيخفف عنه عشراً عشراً إلى أن خُففت خمس صلوات في اليوم واللييلة.

قال : ((ثم أهبط إلى الأرض إلى مكة إلى المسجد الحرام ، فأصبح يخبر الناس بما رأى من الآيات)) والمشركون وجدوا أن ذلك فرصة لهم للشناعة عليه وتكذيبه ، ومن كان أيضاً في

إيمانه ضعف أصابه شيء من التردد في هذا الأمر ، ولما أتوا الصديق الأكبر - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - أرادوا التشنيع على النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الخبر وهو أنه في ليلة واحدة يسرى به إلى بيت المقدس وفي الليلة نفسها يُعرج به إلى السماء ، قال لهم رأساً وبدون تردد : " إن كان قال ذلك فقد صدق " .

فالشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام أُسري به وعُرج به إلى السماء في ليلة واحدة ورأى من آيات الله تعالى العجيبة ، والإسراء نفسه والمعراج في ليلة واحدة غاية في العجب ، لأنه جاء في بعض الروايات بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة ، وثخن كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وهذه المسافات الشاسعة المتباعدة التباعد العظيم كلها قطعها عليه الصلاة والسلام في ليلة واحدة !! وهذا من آيات الله تعالى العظيمة العجيبة .

قال رحمه الله :

[فأما الحديث الذي رواه النسائي في أول كتاب الصلاة قال : " أنا عمرو بن هشام : ثنا مخلد هو ابن يزيد عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثنا يزيد بن أبي مالك ، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ، خطوها عند منتهى طرفها ، فركبت ومعني جبريل عليه السلام ، فسرتُ فقال : انزل فصلٍ ، ففعلت فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة ، وإليها المهاجر . ثم قال : انزل فصلٍ ، فصليت ، فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت بطور سيناء ، حيث كلم الله موسى . ثم قال : انزل فصلٍ ، فصليت فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى . ثم دخلتُ بيت المقدس ، فجمع (لي) الأنبياء ، فقدمني جبريل حتى أمتهم ، ثم صُعد بي إلى السماء الدنيا .. " وذكر بقية الحديث ، فإنه حديث غريب منكر جداً وإسناده مقارب . وفي الأحاديث الصحيحة ما يدل على نكارتة ، والله أعلم] .

ثم إن المصنف رحمه الله تعالى بدءاً من هذا الحديث إلى نهاية الفصل أخذ يورد أحاديث مما يناسب المقام من حيث أنها تتعلق بالرحلات وفي الوقت نفسه لم تثبت ؛ ليبين عدم ثبوتها وعدم صحتها . وهذه الطريقة طريقة صحيحة معتمدة عند أهل العلم أن الحديث الذي لا

يثبت يُشار إليه في موضعه ويبيّن في الوقت نفسه عدم ثبوته، لأنه قد يكون مرّ على بعض الناس ، فإذا ورد إلى هذا الموضع يقول : أين الحديث الفلاني لم يذكره؟! فإذا أوردته على وجه بيان عدم ثبوته كان مناسباً للمقام ، أما أن يورد على سبيل الاحتجاج به واعتماده أو نحو ذلك فهذه ليست بطريقة صحيحة ولا سديدة .

وهنا نعرف الفرق بين أئمة الحديث رحمهم الله تعالى المشتغلين به المعتنين به المميزين بين صحيحه وسقيمه وبين من سواهم ممن لا عناية لهم بهذا الشأن ؛ فتجد بعض الكتب المشهورة المتداولة بين أيدي الناس التي لا عناية لمؤلفيها بهذا الباب يستكثرون من أحاديث واهيات وأخبار موضوعات وروايات مكذوبات ثم تنطلي على العوام وتجدهم يتناقلونه في مجالسهم "قال صلى الله عليه وسلم " وهو لم يقله عليه الصلاة والسلام بل وحاشاه أن يقوله ﷺ ، والسبب في ذلك أن هناك كتب فعلاً موجودة بين الناس فيها العشرات من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولم تُبين ويقرؤها العامي ثم يحفظها وينقلها إلى الآخرين فتنتشر الأحاديث الموضوعة بين الناس . أما أهل الشأن وأهل الدراية وأهل الخبرة بأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فإنهم لا يذكرون مثل هذه الأحاديث إلا على وجه بيان عدم صحتها .

أورد هنا أول ما أورد حديث أنس ابن مالك في قصة الإسراء وأنه أوتي بدابة فوق الحمار ودون البغل وفيه أنه مرّ به في طيبة - المدينة - وصلى بها وقال هذه مهاجرك وأنه أيضاً مرّ به في طور سيناء وصلى به وقال : هذا طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى . ثم مرّ به ببیت لحم وقال : هذا المكان الذي ولد فيه عيسى وصلى فيه . وفي تمام ذلك قال : ((هذا حديث غريب منكر جداً وإسناده مقارب ، وفي الأحاديث الصحيحة ما يدل على نكارتة)) ؛ مثل قصده لطور سيناء وقصده لبیت لحم للصلاة فيها ؛ هذا يخالف بعض الأحاديث مثل : ((لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ)) فالمتن فيه نكارة ، والحديث نفسه لم يصح ولم يثبت ، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الزاد : " ولم يصح ذلك عنه البتة " .

قال رحمه الله :

[وكذلك الحديث الذي تفرد به بكر الله زياد الباهلي المتروك عن عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : "ليلة أسري بي قال لي جبريل : هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصل فيه " لا يثبت أيضاً ، لحال بكر بن زياد المذكور] .

ثم أورد هذا الحديث وبيّن أيضاً أنه لا يصح عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا يثبت ، آفته بكر ابن زياد الباهلي، قال ابن كثير رحمه الله : ((المتروك)) . والحديث رواه ابن حبان في المجروحين ، وابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابن حبان : " هذا الحديث لا يشك عوام المحدثين أنه موضوع فكيف بالبُزل في هذا الشأن ، وكان بكر ابن زياد دجالاً يضع الحديث على الثقات وأقره على ذلك ابن الجوزي " . وقال الذهبي رحمه الله تعالى : " صدق ابن حبان " .

قال رحمه الله :

[وهكذا الحديث الذي رواه ابن جرير في أول تاريخه من حديث أبي نعيم عمر بن الصبح ، أحد الكذابين المعترفين بالوضع عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه ﷺ ليلة أسري به ذهب إلى يأجوج ومأجوج ، فدعاهم إلى الله ﻻ ﻳﻬﻨﻜﻮﻥ فأبوا أن يجيبوه ، ثم انطلق به جبريل عليه السلام إلى المدينتين . يعني جابلق . وهي مدينة بالمشرق وأهلها من بقايا عاد ومن نسل من آمن منهم ، ثم إلى جابر وس وهي بالمغرب وأهلها من نسل من آمن من آمن من آمن ؛ فدعا كل منهما إلى الله ﻻ ﻳﻬﻨﻜﻮﻥ فأمنوا به . وفي الحديث أن لكل واحدة من المدينتين عشرة آلاف باب ، ما بين كل بابين فرسخ ، ينوب كل يوم على باب عشرة آلاف رجل يحرسون ، ثم لا تنوبهم الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور ، فوالذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم (وضجيج أصواتهم) لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم : منسك وتاويل وتاريس . وفيه أنه ﷺ دعا هذه الثلاث أمم فكفروا وأنكروا ، وهم مع يأجوج ومأجوج . وذكر حديثاً طويلاً لا يشك من له أدنى علم أنه موضوع ،

وإنما نبهت عليه ها هنا ليعرف حاله فلا يغتر به ، ولأنه من ملازم ما ترجمنا الفصل به ،
ومن توابع ليلة الإسراء ، والله أعلم] .

ثم ختم رحمه الله تعالى بالتنبيه على هذا الحديث وأنه حديث موضوع مكذوب على النبي
عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عباس أنه ليلة أُسري به ذهب إلى يأجوج ومأجوج ...
إلى آخر هذا الخبر الموضوع المختلق ، وبَيَّن رحمه الله تعالى أن واضع هذا الحديث هو أبو نعيم
عمر ابن الصُّبح أحد الكذابين الكبار المعترفين بالوضع . يعني المعترف أنه كان يضع الحديث
على رسول الله ﷺ .

ثم ختم رحمه الله تعالى بالإشارة أنه أن إيراده لهذا الحديث مما يلزم في هذه الترجمة ومن توابع
ما يتعلق بليلة الإسراء والمعراج ، وأنه إنما أورده لينبّه على حاله وأنه حديث موضوع فلا يُعتر
به ولا تحل روايته وذكره إلا على وجه بيان وضعه وكذبه على رسول الله صلوات الله وسلامه
عليه .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل ؛ وهاجر ﷺ من مكة إلى المدينة ، وقَدَّمنا ذكر غزواته وعمره وحجته وذلك كله
من توابع هذا الفصل فأغنى ذكر ما تقدم عن إعادته] .

هذا الفصل متعلق بما قبله وتابَعُ له فهو يتعلق برحلات النبي عليه الصلاة والسلام .
قال : ((وهاجر من مكة إلى المدينة . وقَدَّمنا ذكر غزواته وعمره وحجته وذلك كله من
توابع هذا الفصل فأغنى ذكر ما تقدم عن إعادته)) ؛ يعني هذه التفاصيل كلها تقدمت
عند المصنف رحمه الله تعالى ، فذكرها فيما تقدم أغنى عن إعادتها هنا ، فاكتفى رحمه الله
تعالى هنا بمجرد الإشارة .

وينبغي أن يُعلم في هذا الباب أن الأماكن التي قصدها عليه الصلاة والسلام أو مرَّ بها أو
جلس فيها أو نحو ذلك لا يُقصد شيء منها على وجه التعبد إلا ما دل الدليل على
مشروعية قصده لأجل التعبد ، كأن يكون النبي ﷺ رَغِبَ في ذلك أو حث عليه أو بيَّن

فضله . أما ما كان عليه الصلاة والسلام مرّ به اتفاقاً أو جلس عليه الصلاة والسلام لسفر أو مناسبةٍ ما فإنه لم يُنقل عن السلف رحمهم الله تتبع تلك المواضع ولم يُعهد عنهم شيء من ذلك . بخلاف بعض المتأخرين الذين أولعوا بتتبع المواضع والأماكن التي مرّ بها أو التي جلس بها أو نحو ذلك يتكلفون أشياء كثيرة لا دليل عليها صريح ولا دليل عليها واضح ، يقول : " جلس على هذا الحجر ، ولمس هذه الصخرة ، ومرّ بهذا المكان " وإذا طالبته بالدليل الواضح البين لا تجد إطلاقاً عنده شيئاً من ذلك .

وبعض الصغار الجهال ربما يغرّرون بالعوام ، فتجد بعض العوام إذا أتى إلى بعض المناطق المفضلة يحاول بعض الصغار من أجل أن يستجدي منه مالاً فتجده يقول له : هنا جلس النبي ، وهنا لمس هذه الصخرة وهنا فعل كذا . وإذا سُئل ما المستند ؟ ما الدليل ؟ ما المعتمد على ذلك ؟ ما عنده شيء !! والعامي يأخذ هذا الكلام مأخذ القبول والتصديق دون أن يكون له مستند . فمثل هذه الأمور حقيقة ينبغي أن يتفطن لها المسلم وأن لا يغتر بمثل هذه الأشياء التي يغتر بها العوام ولا يكون لها أي مستند أو أساس صحيح .

ومن الطرائف التي ذكرها لي أحد الزوار : قصد أحد الأماكن فرأى صغيراً ، فقال أحبيثُ أن أعرف ماذا يوجد هنا ؟ فأخذ بيدي قال : هنا جلس عليه الصلاة والسلام وهنا اتكأ وهنا ... ، قلت له هذا من أين لك ؟ قال : أولاد الحارة الكبار قالوا لنا . قلت له : وأولاد الحارة الكبار من قال لهم ؟ قال : أولاد الحارة اللي أكبر منهم . وخذ مثل هذه الأسانيد ومثل هذه الأمور التي تنفق على بعض العوام وتجد بعضهم يأخذ هذه الأشياء مأخذ قبول وتسليم وربما أيضاً تجرّه إلى بعض العقائد أو بعض التبركات التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل (سماعاته ﷺ) : قد قدّمنا أنه ﷺ سمع كلام ربه ﷻ وخطابه له ليلة الإسراء ، حيث يقول ﷺ : " فنوديت أن قد أتممت فريضتي وخففت عن عبادي ، يا محمد : إنه لا يبدل القول لدي ، هي خمسٌ وهي خمسون " الحديث . فمثل هذا لا يقوله إلا رب العالمين كما في قوله تعالى لموسى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤] ، قال علماء السلف وأئمتهم : هذا من أدل الدلائل على أن كلام

الله غير مخلوق ، لأن هذا لا يقوم بذات مخلوقة ، وقال جماعة منهم : من زعم أن قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ مخلوق فهو كافر ، لأنه بزعمه يكون ذلك المحل المخلوق قد دعا موسى إلى عبادته ، وقد بُسط هذا في غير هذا الموضع . وقد روى عنه عن ربه ﷻ أحاديث كثيرة ، كحديث : " يا عبادي ، كلكم جائع إلا من أطعمته .. " الحديث وقد رواه مسلم ، وله أشباه كثيرة . وقد أفرد العلماء في هذا الفصل مصنفات في ذكر الأحاديث الإلهية ، فجمع زاهر بن طاهر في ذلك مصنفاً ، وكذلك الحافظ الضياء أيضاً ، وجمع علي بن بلبان مجلداً رأيته ، يشتمل على نحو من مائة حديث . وقد ذهب جماعة من أهل الحديث والأصول أن السنة كلها بالوحي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] ، وهذه المسألة مقررة في كتب الأصول ، وقد أتقنها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه المدخل إلى السنن .

ثم عقد رحمه الله تعالى هذا الفصل في سماعاته ﷺ ، فبدأ أولاً بأشرف سماع وأفضله ألا وهو سماعه ﷺ كلام الله من الله ﷻ بدون واسطة وذلك ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام ، وأورد الدليل على ذلك وبينه غاية البيان .

قال : ((قد قَدَّمنا أنه ﷺ سمع كلام الله وخطابه له ليلة الإسراء ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : " فنوديت أن قد أتممت فريضتي وخففت عن عبادي ، يا محمد : إنه لا يبدل القول لدي ، هي خمس وهي خمسون ")) ؛ تأمل الكلام جيداً : " خففت عن عبادي ، إنه لا يبدل القول لدي " لا يمكن أن يكون هذا الكلام إلا كلام الله ﷻ .

قال ابن كثير : ((فمثل هذا لا يقوله إلا رب العالمين)) ؛ ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول : " نوديت " يعني سمع هذا النداء الذي يشتمل على هذه الكلمات " أتممت فريضتي ، خففت عن عبادي ، يا محمد إنه لا يبدل القول لدي " ، فهذا نص أنه عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به سمع نداء الله ﷻ من الله كما سمع موسى ﷺ نداء الله ﷻ من الله ﷻ .

قال : ((فمثل هذا لا يقوله إلا رب العالمين كما في قوله تعالى لموسى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾)) ؛ أيضاً هذا الكلام هل يمكن أن يكون قاله غير رب العالمين ؟ حاشا وكلا ، ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ هذا هو كلام رب العالمين ولا يمكن أن يكون قائله جبريل أو غيره من الملائكة .

قال رحمه الله : ((قال علماء السلف وأئمتهم : هذا من أدل الدلائل على أن كلام الله ﷻ غير مخلوق ، لأن هذا لا يقوم بذات مخلوقة)) ؛ لأن هذا كلام الله لا يمكن أن يقوله إلا الله ﷻ .

قال : ((وقال جماعة منهم - من أئمة السنة - من زعم أن قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ مخلوق فهو كافر)) ؛ وجه كفر من يقول ذلك : أنه زعم أن غير الله يقول "إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني" مثل الحجر أو جبل الطور أو غير ذلك . فمن قال : إن غير الله هو الذي يقول : { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي } ((فهو كافر بالله العظيم لأنه بزعمه يكون ذلك المحل المخلوق دعا موسى إلى عبادته)) .

((وقد بسط هذا في غير هذا الموضع)) ؛ هذه المسألة مثل ما أشار الإمام ابن كثير رحمه الله لها موضع بسطها في كتب العقائد ، والأئمة رحمهم الله المتقدمون منهم والمتأخرون ممن هم على سنن أهل السنة وطريقتهم أطالوا الكلام في هذه المسألة تقريراً لأدلتها وبسطاً لحججها ورداً على المخالفين فيها في كتب كثيرة وموسوعات جامعة في هذا الباب . وهي مسألة خطيرة ومهمة وشبه على كثير من الناس فيها ودخلت عليهم شبه المتكلمين من المعتزلة وأضرابهم فوقعوا في باطل الاعتقاد في هذا الباب .

ومما يُنبه عليه في هذا المقام بعض الإجازات التي يمنحها بعض المقرئين لكلام الله ﷻ عندما يسوق إسناده يوقف الإسناد إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى جبريل إلى اللوح المحفوظ ويُنهى الإسناد إلى اللوح المحفوظ ؛ على زعم المعتزلة وأضرابهم أن الله ﷻ لم يتكلم بالقرآن وإنما خلقه في اللوح المحفوظ وجبريل أخذه عن اللوح المحفوظ ، وهذا كلام من أبطل الباطل ومن أشد الضلال ، وتبعات هذا الكلام الباطلة المضرة بالاعتقاد كثيرة جداً وهي مبسوسة في كتب الاعتقاد لأئمة السنة رحمهم الله تعالى . والواجب في هذا المقام أن يكون الإسناد عن

محمد عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن رب العزة ﴿وَأَنَّهُ لَنُزِّلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ ﴿[الشعراء: ١٩٢-١٩٥] ، في الآية الأخرى قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ، فكلام الله ﷻ نزل من الله وبدأ منه ﷻ ، هو الذي تكلم
بالقرآن ، وجبريل سمعه من الله ونزل به على محمد عليه الصلاة والسلام ، ومحمد عليه
الصلاة والسلام سمعه من جبريل ﷻ .

قال : ((وقد روى ﷺ عن ربه ﷻ أحاديث كثيرة كحديث: " يا عبادي ، كلكم جائع
إلا من أطعمته .. " الحديث وقد رواه مسلم وله أشباه كثيرة)) ؛ يعني من هذا القبيل
سمعها عليه الصلاة والسلام ورواها عن رب العالمين ﷻ ، كحديث (يا ابن آدم) ،
وأحاديث كثيرة في هذا الباب تُعرف عند أهل العلم بالأحاديث الإلهية نسبة إلى الإله ، أو
الأحاديث القدسية نسبة للقدوس ﷻ . وصفة الحديث : أن يقول الصحابي : « عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه » ، أو يقول الصحابي : « عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى » . ومثل هذه الأحاديث القدسية لا يلزم أن يكون سمعها مباشرة
كما هو الشأن في ليلة الإسراء .

قال : ((وقد أفرد العلماء في هذا الفصل مصنفات في ذكر الأحاديث الإلهية وتسمى
أيضاً الأحاديث القدسية، فجمع زاهر ابن طاهر في ذلك مصنفاً)) ؛ زاهر ابن طاهر
الشحامي المتوفى سنة ٥٣٣ .

((وكذلك الحافظ الضياء)) ؛ محمد ابن عبد الواحد المقدسي ، وقد تقدم ذكره قريباً عند
المصنف رحمه الله تعالى نقل عنه نقلاً من كتابه « المختارة » .

((وجمع علي بن بلبان مجلداً رأيته ، يشتمل على نحو من مائة حديث)) ؛ والكتاب
مطبوع بعنوان « المقاصد السنية في الأحاديث القدسية » ، وليت مصنفه رحمه الله تعالى يقتصر
على الأحاديث القدسية المروية عن النبي الكريم ﷺ فلم يضيف إليها شيئاً ، لكنه حشر في
كتابه شيئاً كثيراً من الحكايات المنكرة والقصص المختلقة والروايات الباطلة وأمور هي خرافة .

قال : ((وقد ذهب جماعة من أهل الحديث والأصول إلى أن السنة كلها بالوحي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾)) ؛ وهذا صحيح فالسنة وحي من الله تبارك وتعالى ، وكل ما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام عن الله هو وحي من الله تبارك وتعالى لم يأت بشيء من نفسه لأن الرسل مهمتهم إبلاغ كلام المرسل ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ [النور: ٥٤] .

قال : ((وهذه المسألة مقررة في كتب الأصول ، وقد أتقنها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه « المدخل إلى السنن »)) .

قال رحمه الله :

[واختلفوا هل رأى ربه سبحانه . كما قدمنا . وقد رأى جبريل عليه السلام هناك على صورته ، وكان قد رآه قبل ذلك منهبطاً من السماء إلى الأرض على الصورة التي خلق عليها وذلك في ابتداء الوحي ، وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) ﴾ [النجم: ٥-٩] فالصحيح من قول المفسرين . بل المقطوع به . أن المتدلي في هذه الآية هو جبريل عليه السلام ، كما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : ذاك جبريل . فقد قطع هذا الحديث النزاع وأزاح الإشكال] .

قال رحمه الله : ((واختلفوا هل رأى ربه سبحانه كما قدمنا)) ؛ ومّر معنا أن الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام لم يره بعينه وإنما رآه بفؤاده .

قال : ((وقد رأى جبريل هناك على صورته - أي الحقيقية - وكان قد رآه قبل ذلك منهبطاً من السماء إلى الأرض على الصورة التي خلقه عليها وذلك في ابتداء الوحي ، وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ

الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)) فسياق الآيات واضح أن المراد بالذي دنى فتدلى هو جبريل عليه السلام والضمائر كلها عائدة إليه ، ولهذا يقول ابن كثير : ((فالصحيح من قول المفسرين . بل المقطوع به . أن المتدلي في هذه الآية هو جبريل عليه السلام ، كما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة : أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : (ذاك جبريل))؛ وهذا واضح من سياق الآية وأيضاً من سؤال أم المؤمنين عائشة للنبي ﷺ فقال : ((ذاك جبريل)) . وأما التدلي الذي مر معنا في حديث أنس وأشار إليه ابن كثير رحمه الله سابقاً فهذا صريح في أن المراد به رب العزة ﷻ .

قال رحمه الله :

[وقد قدّمنا أنه اجتمع بالأنبياء ورآهم على مراتبهم ، ورأى خازن الجنة وخازن النار ، وشيئعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، وتلقاه المقربون من الأخرى . وفي السنن أنه ﷺ قال : "ما مررت ليلة أسري بي بملاً من الملائكة إلا قالوا : يا محمد ! مر أمتك بالحجامة" . تفرد به عباد بن منصور . وفي حديث آخر " إلا قالوا : مر أمتك يستكثروا من غراس الجنة : سبحان الله والحمد لله ... " الحديث . وهما غريبان . ونزل عليه جبريل عليه السلام بالقرآن عن الله ﷻ على قلبه الكريم ، وفي السيرة أنه أتاه ملك الجبال يوم قرن الثعالب برسالة من الله تعالى فقال : إن شاء الله أن يطبق عليهم الأخشبين فقال : بل أستاذني بهم . وفي صحيح مسلم أن ملكاً نزل بالآيتين من آخر سورة البقرة] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن النبي عليه الصلاة والسلام اجتمع بالأنبياء ورآهم على مراتبهم وهذا سبق أن مر معنا .

((ورأى خازن الجنة وخازن النار وشيئعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها وتلقاه المقربون من الأخرى)) ؛ وهذا كله ورد في قصة الإسراء والمعراج . قال : ((وفي السنن)) ؛ وهو في الترمذي وابن ماجة ومسنند الإمام أحمد .

((أنه ﷺ قال : ما مررت ليلة أسري بي بملاً من الملائكة إلا قالوا : يا محمد ! مر أمتك بالحجامة . قال: تفرد به عبّاد ابن منصور)) ؛ والإسناد ضعيف لكن للحديث شواهد ولذلك أورده الألباني رحمه الله في سلسلته الصحيحة برقم (٢٢٦٣) .

قال ابن كثير : ((وفي حديث آخر " إلا قالوا : يا محمد مُر أمتك يستكثروا من غراس الجنة : سبحان الله والحمد لله ... " الحديث. وهما غريبان)) ؛ قوله "إلا قالوا" : أي الملائكة ، والثابت في الحديث أن هذا من قول إبراهيم الخليل . قال عليه الصلاة والسلام : ((مررت ليلة أسري بي بإبراهيم الخليل فقال : أقرأ أمتك مني السلام وأبلغهم أن الجنة قيعان وأنها عذبة الماء طيبة التربة وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) هذا حديث حسنه جماعة من أهل العلم .

أما قوله ((إلا قالوا)) - أي الملائكة - فهذا لم أقف عليه في شيء من الروايات الواردة المتعلقة بالإسراء والمعراج .

قال : ((ونزل عليه جبريل ﷺ بالقرآن عن الله)) ؛ ويلاحظ هنا تنصيب ابن كثير رحمه الله تعالى " عن الله " وهذا أعيد فيه التنبيه السابق أن الإسناد في القرآن ينبغي أن يكون متصلاً برب العزة ، فيقول المسند : " عن محمد ﷺ عن جبريل عن ربّ العزة ﷻ " ، أما إيقاف الإسناد عند اللوح المحفوظ فهذا يكون بالشبهة التي أدخلها المعتزلة وأضرابهم على الناس في الاعتقاد في هذا الباب فينبغي أن يُحذر من ذلك أشد الحذر .

قال : ((ونزل عليه جبريل ﷺ بالقرآن عن الله على قلبه الكريم)) كما قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

قال : ((وفي السيرة)) ؛ كذا في بعض النسخ ، وفي بعضها ((وفي السنن)) ، وفي بعض آخر ((وفي الصحيحين)) وهو الأقرب لأن الحديث المذكور في الصحيحين .

قال : ((أتاه ملك الجبال يوم قرن الثعالب)) ؛ قرن الثعالب : هو الذي بلغه النبي عليه الصلاة والسلام عندما خرج من الطائف ﷺ ، وهو قرن المنازل ميقات أهل نجد ، وهو المعروف الآن بالسييل الكبير .

فلما بلغ عليه الصلاة والسلام قرن الثعالب آتاه ملك الجبال برسالة من الله ((فقال: إن شاء أن يطبق عليهم الأخشبين فقال : بل أستأني بهم)) ؛ أي أترى لعل الله يُخرج من أصلاهم من يعبد الله . ومعنى يطبق الأخشبين : أي يجعل الأخشبان وهما جبلان في مكة يلتقيان ويُطبقان على من فيها .

قال : ((وفي صحيح مسلم أن ملكاً نزل بالآيتين من آخر سورة البقرة)) ؛ وهذا ثابت كما ذكر المصنف رحمه الله في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بُنُورَيْنِ أَوْتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ)) وهذا مما يبين فضل فاتحة الكتاب وفضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، وقد جاء في حديث آخر أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال : ((مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ)) أي من كل سوء وشر ومكروه .

قال رحمه الله :

[وفي مغازي الأموي عن أبيه قال : وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : بينما النبي ﷺ يجمع الأقباض وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملك من الملائكة قال : يا محمد ، إن الله يقرأ عليك السلام ، قال رسول الله ﷺ : " هو السلام ومنه السلام وإليه السلام " ، فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمر الذي أمرك به الحباب بن المنذر ، فقال ﷺ : يا جبريل : هل تعرف هذا ؟ قال : ما كل أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان. وهذا وإن كان إسناده ليس بذاك إلا أنَّ له شاهداً ، وذلك أنه ﷺ لما نزل على أدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله إن كنت نزلت هذا المنزل بأمر الله فذاك ، وإن كنت إنما نزلته للحرب والمكيدة فليس بمنزل . قال : بل للحرب والمكيدة . قال : فانطلق حتى تجلس على أدنى المياه من القوم ونغور ما وراءنا من المياه ، كما تقدم في قصة بدر] .

ثم أورد رحمه الله تعالى ما رواه الأموي ((في المغازي عن أبيه قال : وزعم الكلبي - والكلبي هو محمد ابن السائب متهم بالكذب - عن أبي صالح عن ابن عباس قال : بينما النبي ﷺ يجمع الأقباض)) ؛ الأقباض : ما جُمع من الغنيمة قبل أن يُقسَم .

((وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة قال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ، قال رسول الله ﷺ : " هو السلام ومنه السلام وإليه السلام " ، فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمر الذي أمرك به الحباب ابن المنذر ، فقال رسول الله ﷺ : يا جبريل هل تعرف هذا ؟ قال : ما كل أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان)) ؛ لكن كما ذكر ابن كثير الإسناد لا يصح ولا يثبت وفيه الكلبي وهو متهم بالكذب ، وما أشار ابن كثير أنه شاهد له لا يصلح أن يكون شاهد له ، وإنما هو أمر آخر وقصة سبق وأن مرت معنا وهي أنّ ملكاً من الملائكة جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال إن الأمر هو الأمر الذي أمرك به الحباب ، وفي قصة بدر لا يوجد شيء فيه ذكر لمجيء ملك يثبت أو يقرر أن الأمر هو الأمر الذي ذكره الحباب ابن المنذر ﷺ .

قال : ((وهذا وإن كان إسناده ليس بذاك إلا أن له شاهداً ، وذلك أنه ﷺ لما نزل على أدنى مياه بدر قال له الحباب ابن المنذر : يا رسول الله إن كنت نزلت هذا المنزل بأمر الله لك فذاك ، وإن كنت إنما نزلته للحرب والمكيدة فليس بمنزل . فقال : بل للحرب والمكيدة قال : فانطلق حتى تجلس على أدنى المياه من القوم ونغور ما وراءنا من المياه)) ؛ كما تقدم في قصة بدر عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

[وقد روي أنه ﷺ حدث عن قس بن ساعدة الإيادي بما سمعه يقول بسوق عكاظ ، وفي سنده نظر] .

وأيضاً أشار إلى أنه حدث عن قس ابن ساعدة وما كان يقوله بسوق عكاظ .

قال : ((وفي سنده نظر)) لأن الخبر رواه البزار والطبراني وغيرهما وفيه محمد بن الحجاج اللّخمي كذّبه ابن المعين وأبو حاتم والدارقطني وغيرهم ؛ فلم يثبت بذلك الحديث .

قال رحمه الله :

[وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس أنه ﷺ حدّث على المنبر عن تميم الداري بقصة الدجال] .

هذا داخل في جملة ما ذكره ابن كثير سماعات النبي عليه الصلاة والسلام ، فالنبي عليه الصلاة والسلام حدّث كما ثبت في صحيح مسلم عن الصحابي الجليل تميم ابن أوس الداري في قصته في ركوب البحر ورؤية الدجال .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل (السمع منه ﷺ) ؛ وسمع منه أصحابه بمكة والمدينة وغيرهما من البلدان التي غزا إليها وحلّها وبعرفة ومنى وغير ذلك . وقد سمع منه الجن القرآن وهو يقرأ بأصحابه بعكاظ ، وجاؤوه فسألوه عن أشياء ، ومكث معهم ليلة شهدها عبد الله بن مسعود ، إلا أنه غير مباشر لهم لكنه كان ينتظر رسول الله ﷺ في مكان محوّل عليه لئلا يصيبه سوء ، فأسلم منهم طائفة من جن نصيبين رضي الله عنهم أجمعين . وقد روينا في الغيلانيات خبراً من حديث رجل منهم يقال له عبد الله سمحج ، وفي إسناده غرابة . وقد جاءه جبريل في صورة رجل أعرابي فحدثه عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة] .

ثم ذكر رحمه الله تعالى في هذا الفصل السماع منه ﷺ ، وذكر ما شرف الله ﷺ به الصحابة الكرام بالسماع من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ سمعوا منه بمكة والمدينة والأماكن التي غزا فيها وحل فيها عليه الصلاة والسلام وبعرفة ومنى ، بل جاء في منى في حديث عبد

الرحمن ابن معاذ قال : ((حُطِبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنَى، فَفَتَحَ اللَّهُ أَسْمَاعَنَا حَتَّى
إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا)) ؛ هذا سماع الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار
للنبي عليه الصلاة والسلام في الأمكنة المختلفة .

وأيضاً ((سمع منه الجن القرآن وهو يقرأ بأصحابه بعكاظ وجاءوه فسألوه عن أشياء ،
ومكث معهم ليلة شهدها عبد الله بن مسعود ، إلا أنه غير مباشر لهم)) ؛ يعني لم يكن
حاضراً ومباشراً .

((لكنه كان ينتظر رسول الله ﷺ في مكان محوط عليه لئلا يصيبه سوء)) ؛ محوط : يعني
مكان فيه حماية أو وقاية واتخاذ الحيلة حماية للنبي عليه الصلاة والسلام . وهذا الحديث رواه
الإمام أحمد وغيره .

قال : ((فأسلم منهم طائفة من جن نصيبين رضي الله عنهم أجمعين)) ؛ سمعوا من النبي
عليه الصلاة والسلام وعرض عليهم الإسلام وأكرمهم الله ﷻ فأسلموا ورجعوا إلى قومهم
منذرين كما في سورة الأحقاف .

قال : ((وقد روي في الغيلانيات خبراً من حديث رجل منهم يقال له عبد الله سمحج ،
وفي إسناده غرابة)) ؛ وفيه أن عبد الله لقي امرأة تزعم أنها سمعت رجلاً من الجن يُقال له
عبد الله ابن سمحج وتروى عنه أحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو حديث لا
يصح ولا يعتمد رواه الطبراني في معجمه عن عبد الله ابن الحسين المصيصي من شيوخ
الطبراني . قال ابن حبان : " يقلب الأخبار ويسرقها " .

قال : ((وقد جاءه جبريل في صورة رجل أعرابي فحدثه عن الإسلام والإيمان والإحسان
وأمارات الساعة)) والحديث ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وثابت في صحيح
مسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل (عدد المسلمين حين وفاته ﷺ) ؛ قال الإمام أبو عبد الله الشافعي رحمه الله
تعالى : توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفاً ، ثلاثون ألفاً بالمدينة ، وثلاثون ألفاً في
غيرها . وقال الحافظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي رحمه الله تعالى : توفي

رسول الله ﷺ وقد رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف . وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري : روى عنه ﷺ أربعة آلاف صحابي . قلتُ : قد أفرد الأئمة أسماء الصحابة في مصنفات على حدة ، كالبخاري في أول تاريخه الكبير ، وابن أبي خيثمة ، والحافظ أبي عبد الله بن مندة ، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، والشيخ الإمام أبي عمر بن عبد البر ، وغيرهم . وقد أفرد أبو محمد بن حزم أسماءهم في جزء جمعه من الإمام بقي ابن مخلد الأندلسي رحمه الله تعالى ، وذكر ما روى كل واحد منهم . وسنفرد ذلك في فصل بعدُ إن شاء الله تعالى ونضيف إليه ما ينبغي إضافته ، وإن يسّر الكريم الوهاب ذكرتُ من المسانيد والسنن ما روى كل صحابي من الأحاديث ، وتكلمتُ على كل منهما ، ويثبتُ حاله من صحة وضعف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم] .

ثم عقد الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى هذا الفصل في عدد المسلمين حين وفاة النبي ﷺ ، ونقل فيه نقولات عن بعض أهل العلم في هذه المسألة .
فنقل أولاً عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال : ((توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفاً ؛ ثلاثون ألفاً بالمدينة ، وثلاثون ألفاً في غيرها)) .

ونقل عن أبي زرعة الرازي رحمه الله تعالى قال : ((توفي رسول الله ﷺ وقد رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف)) . نقل هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه الإصابة وقال : " قال ابن فتحون في ذيل الاستعاب بعد أن ذكر ذلك أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأل عن الرواة خاصة ، قال فكيف بغيرهم؟ " .

ونقل الإمام ابن كثير عن الحافظ أبو عبد الله النيسابوري قال : ((روى عنه أربعة آلاف صحابي)) .

قال ابن كثير : ((قلتُ : قد أفرد الأئمة أسماء الصحابة في مصنفات على حدة ، كالبخاري في أول تاريخه الكبير ، وابن أبي خيثمة - في تاريخه الكبير وقد طُبِعَ جزء منه - والحافظ أبي عبد الله بن مندة ، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، والشيخ الإمام أبي عمر بن عبد البر ، وغيرهم . وقد أفرد أبو محمد بن حزم أسماءهم - في جزء مطبوع أسماه : «

أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد » - أفرد جزءًا جمعه من كتاب الإمام بقي بن مخلد الأندلسي رحمه الله تعالى ، وذكر ما روى كل واحد منهم)) .

قال ابن كثير رحمه الله : ((وسنفرد ذلك في فصل بعد إن شاء الله)) ؛ هذا وعدٌ وعد به لكن لا وجود لهذا الفصل في كتابه رحمه الله تعالى الفصول ، فلعله لم يتيسر له ذلك .

قال : ((ونضيف إليه ما ينبغي إضافته ، وإن يسّر الكريم الوهاب ذكرتُ المسانيد والسنن ما روى كل صحابي من الأحاديث ، وتكلمتُ على كل منهما ، وبينتُ حاله من صحة وضعف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم)) ؛ الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى له مؤلف مفرد سماه « جامع المسانيد والسنن » ولم يُتمّه ، وقد طُبِعَ قدر كبير منه ، وهو باختصار كما وصف هنا رحمه الله في جمع المسانيد والسنن وما روي عن كل صحابي من الأحاديث مع الكلام عن كل حديث منها وبيان حاله من الصحة والضعف .